اسم المادة: اسم الله الغني

من سلسلة: الحسنى

لفضيلة الشيخ: د. حسن بن عبد الحميد بخاري

إنتاج فريق التفريغ بشبكة الطريق إلى الله

اسـم المادة: اسم الله الغني
من سلسلة: الحسنى
لفضيلة الشيخ: د. حسن بن عبد الحميد بخاري
رابط المادة: https://way2allah.com/khotab-item-169047.htm

أسعد الله أوقاتنا وأوقاتكم بطاعته ورضوانه

دخل الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك الكعبة يومًا، فإذا هو بالتابعي الجليل الإمام العلَم الفقيه سالم ابن الصحابي الجليل عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما–، وقد كان علمًا وجيهًا لا تخطئه العين ولا يجهله أحد، فتودد إليه الخليفة هشام في الكعبة، فقال له: سلني حاجتك يا سالم. فالتفت إليه سالم وقال: إني لأستحي أن أسأل الله في بيته غيره –سبحانه–. فلما خرجا من الكعبة، استقبله هشام، فقال: الآن سلني حاجتك. كأنه يقول له: قد خرجنا من جوف الكعبة. فقال له سالم: من حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة؟ فقال له الخليفة هشام: من حوائج الدنيا. فقال له سالم –رحمة الله عليه–: أما الدنيا، فما سألتها الذي يملكها، فكيف أسألها من غيره؟

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ * إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ" فاطر١٥:١٧

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ"

في ثمانية عشرة مرة جاء اسم الغني –سبحانه وتعالى– في القرآن الكريم، في مثل قوله: "وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ" الأنعام:١٣٣

ربنا الغني –سبحانه– المستغني، وكل الخلق مفتقر إليه. قال الزجَّاج –رحمه الله–: الله هو الغني المستغني عن الخلق بقدرته وعز سلطانه، والخلق فقراء إلى تطوله وإحسانه. ذلكم هو الله الغني –جل جلاله–، الذي بيده خزائن السماوات والأرض، الغني الذي له ملك الدنيا والآخرة، الغني المغني عباده من الفقر، الغني –سبحانه– الذي يعطي عطاءً بلا حدٍ ولا انتهاء، الغني الذي لو أعطى عباده أولهم وآخرهم وإنسهم وجنهم وأعطى كل واحد منهم مسألته، ما نقص ذلك من ملكه إلا كما ينقص المخيط إذا أُدخل البحر.

الله هو الغني –جل جلاله–، غناه دائم، غناه مطلق، غناه ذاتي –سبحانه وتعالى–، فلا غنى مطلق ولا دائم ولا ذاتي إلا غنى الله –جل جلاله– مطلق؛ لأنه لا يُقيد –سبحانه– لا بزمان ولا مكان ولا قدر. غنى ذاتي؛ فغناه له –جل جلاله– لا يتوقف على غيره. غنى دائم؛ فليس ينتهي. لكن غنى الأغنياء من البشر، إنما هو نسبي، فبعضهم غني بالنسبة إلى مَن هو أفقر منه، وإن كان فقيرًا في الحقيقة. غنى البشر –وإن كانوا أغنياء– فهو غنى مؤقت، ليس مطلقًا ولا دائمًا، ثم هو قد يزول وقد يتغير لأي سبب. الغني على الحقيقة هو الله.

ولمّا نُدبنا في القرآن الكريم إلى الإنفاق والصدقة، جاءت هذه الآية الكريمة التي تصحح المفاهيم وتهز النفوس "هَاأَنتُمْ هَؤُلاء تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاء وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ" محمد:٣٨، "إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ" الزمر:٧

هذا طرف من معاني غنى ربنا الغني –سبحانه وتعالى–، استغناؤه عن: خلقه، عن عبادتهم، عن طاعاتهم. إي والله، ما أمرنا الله –جل جلاله– بعبادته وطاعته إلا لحاجتنا نحن وفقرنا، وأما هو فغني –تبارك في علاه–.

ربنا الغني –جل جلاله– يُكسب عباده من الغنى ما تسعد به حياتهم، وتقر به نفوسهم. هذان ركنان عظيمان، يقوم عليهما قائم العبودية الحق في قلوب العباد، اعترافها بالغنى المطلق لله –جل جلاله– وبالفقر المطلق للعباد وحاجتهم، وقد اجتمع الأمران في قوله –سبحانه– والنداء لي ولك ولكل البشرية: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ" فاطر:١٥

تأملوها مرة أخرى أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ كلكم أيها الناس، أغنياؤكم وفقراؤكم، أثرياؤكم وأباطرتكم، ملوككم وعظماؤكم، الكل دخل في هذا الوصف أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ.

تدري لم؟ لأن الغنى الحقيقي هو الذي قال الله فيه: "وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ".

فبماذا نصف إذًا غنى الأغنياء وثراء الأثرياء؟

هو الغنى العرضي المؤقت، "ليس الغِنَى عن كثرةِ العَرَضِ إنما الغِنَى غِنَى النَّفْسِ"[1] كما قال –عليه الصلاة والسلام–.

غنى النفس: قناعتها، إيمانها، ثقتها، يقينها، اكتفاؤها بما قُسم لها. هذا هو الغنى الحقيقي.

أيها الكرام: لنا رب غني –سبحانه وتعالى–، غني عن عبادتنا وعن الخلق أجمعين، غني مستغنٍ عن خلقه بقوته وقدرته وعز سلطانه –سبحانه وتعالى–. ولأنه غني، فإنما يلجأ الفقراء إليه، يطلبون رحمته ورضاه، يلتزمون طاعته ويسألون هداه. لأن ربنا غني، فإنما يُطلب المال –إذا احتاج إليه العبد والنعمة الصحة وسائر أنواع النعم– إنما تُطلب من الله الغني "وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ" النساء:٣٢، كما قال الله –عز وجل–.

وفي دعوات الحبيب المصطفى –صلى الله عليه وعلى آله وسلم: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الهُدَى وَالتُّقَى، وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى"[2] ليس غنى المال بالضرورة فقط.

غنى المال: المكسب الحلال، غنى البدن: صحته وعافيته، غنى العقل: رجاحته ونوره، غنى القلب: قناعته. وهكذا. غنى كل شيء بحسبه، والله الغني مالك ذلك كله، وإنما يُسأل الله –عز وجل– من فضله.

اللهم يا غني يا كريم، فأغننا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمن سواك

[1] أخرجه البخاري ومسلم

[2] صحيح مسلم